التداخل النصي في السرد العجائبي في الأمثال العربية القديمة

الباحث/ عبد الله سيد مرعي الراوي

ملخص البحث:

تناول هذا البحثُ "التداخل النصي في السرد العجائبي في الأمثال العربية القديمة" لأهمية الأمثال في المخزون اللُّغوي لدى العرب، من خلال المنهج البنيوي، وهدف البحث إلى الكشف عن ذلك التداخل النصي في الأمثال العربية القديمة العجائبية بتتبع المواطن التي وقع فيها التداخل، سواء أكان هذا التداخل مع القرآن أم السنة أم الشعر، بعد أن رصد البحث الأمثال العجائبية الواقعة في مدونة الدراسة، ومن ثَمَّ كشف البحث عن دلالات التداخل النصي الكامنة في تلك الأمثال، وعن التداخل من حيث اللفظ والمعنى، والوقوف على دلالة تلك الأمثال من حيث اتفاقها واختلافها بين المثل والنص الذي تتداخل معه.

وأشار البحث إلى أهمية الأمثال بالنسبة إلى العرب قديمًا وحديثًا؛ ما يوضِّح أهميتها في الأدب العربي، خاصة أنها لم تنل حظها من البحث والدراسة كما نالت الرواية، وفي هذا تكمن أهمية الدراسة بإخضاع الأمثال للدراسة السردية دراسةً معتمدةً على قصة المثل وما تحويه من بِنى سردية وفيرة.

الكلمات المفتاحية: التداخل النصي، التناص، السرد، المثل، العجائبي.

Abstract:

This research paper addresses the technique of "Intertextuality in Fantastic Narrative Used in Old Arabic Proverbs" to highlight the significance of proverbs in the Arabic language inventory by means of a structuralist approach. It also aims to explore the intertextuality found in fantastic old Arabic proverbs, spotting the occurrences of such phenomenon; whether in the Holy Quran, the Prophetic Traditions, or poetry, and analyzing examples of fantastic narrative covered in the scope of study. The research further investigates the indications of intertextuality underlying such proverbs, both in words and meanings, showing how similar or different these proverbs are to or with the intertextual text.

The research paper underlines the significance of proverbs to Arab society in the past and modern times, emphasizing their importance in Arab literature; especially because of the fact that proverbs, as a genre of literature, have not received the same amount of research and study as the novel has received. Here lies the purpose of this research paper where proverbs are subject to narrative study based on the origin of a proverb and the wealth of narrative structure included therein.

Keywords: Intertextuality, Narration, Proverb, Fantastic

مقدمة:

إذا كان النص السردي وإن تجلى واضحًا في القصص والروايات وأخذ في الدراسة والنقد منهما حظًّا كافيًا فإن في الأمثال مادة خصبة لم تأخذ حظها من الدراسة وإن لَمِنَ الغبن أن يُتغاضى عن هذ الكم الهائل من المادة السردية التي لم يتناولها أحد بالدراسة إلا لمامًا، ولقد ضمت كتب الأمثال بين دفتيها مادة ضخمة من الأمثال، وبُذل فيها جهد كبير؛ إذ إنها تمثل حضارة الأمم السابقة من العرب، ولربما أقحم العرب الأمثال في كل مناحي حياتهم، ولم يقصوها عن موضع منها، حتى تبدت فيها بلاغة العرب وفصاحتهم، يتضح ذلك جليًا أمام من نظر إليها نظرة ثاقبة.

وينحو هذا البحث لدراسة التداخل النصي في البنية السردية العجائبية التي انطوت عليها بعض الأمثال العربية خاصة أن الأمثال لم تأخذ حظها من الدراسة في خضم النقد المعاصر الذي شهد اهتمامًا بالغًا بالسرد، فلقد شمل السرد كل الأجناس الأدبية غير أن الأمثال تشهد من ذلك سوى الاجتهاد في جمعها وشرحها والاهتمام بالاستدلال على المعاني التي بُطِّنَتْ بها.

جاء موضوع الدراسة "الأمثال العربية القديمة" مجالَ التطبيق، لما للأمثال من أهمية في حياة الأمم عامة وفي حياة العرب خاصة والقدماء منهم بشكل أخصّ، ولقد حوت الأمثال العربية القديمة مادة سردية يعجز المجتهد عن الإحاطة بها وسبر أغوارها، وضمّنت قصصًا سردية رائعة أماطت عن الحياة العربية القديم اللثام.

مدونة الدراسة:

يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى دراسة (التداخل النصي في السرد العجائبي في كتب الأمثال العربية القديمة) في الكتب الآتية:

- أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، (ت: ١٦٨هـ)
- العقد الفريد، الجزء الثالث، كتاب جمهرة الأمثال، تأليف الفقيه أحمد بن عبد ربه الأندلسي، (ت: ٣٢٨هـ)
- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، حمزة بن الحسن الأصبهاني، (ت: ٣٥١هـ)
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، (ت: ٣٩٥ه)
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، المعروف بالميداني، (ت: ٥١٨هـ)
- تمثال الأمثال، تأليف أبي المحاسن محمد بن علي العبدري الشيبي، (ت: ٨٣٧هـ).

أبعاد الدراسة:

تناول البحث بنيةَ التداخل النصي في الأمثال العربية القديمة، واقتصر على النمط العجائبي في السرد المصاحب لها، وبدأ البحث بملخص باللغة العربية ثم تمهيد نظري عن السرد لغةً واصطلاحًا والمثل لغةً واصطلاحًا ثم أشار إلى أقسام المثل، ثم تناول البحث التداخل النصي لغةً واصطلاحًا، وطبق على بعض النماذج من مدونة الدراسة، وفي نهايته خاتمة بأهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد منها البحث، ثم ملخص باللغة الإنجليزية.

منهج الدراسة:

اعتمد البحث على المنهج البنيوي لتحقيق نتائجه المرجوة.

السرد العجائبي والأمثال العربية القديمة:

إن السرد لصيق الصلة بالإنسان، والسرد حاضر في كل مناحي الحياة، والإنسان بطبعه سارد، وبالسرد تُبنى وتتحدد هويته الشخصية، "ولقد ارتبطت مقولات السرد الحديثة بالأجناس الأدبيّة كالرواية والقصة وغيرها"[(١)]؛ لذا يسعى البحث إلى "ربط مقولات السرد الحديثة التي من ضمنها العجائبي بالأمثال الخرافية المتناثرة في بطون كتب الأمثال العربية القديمة، حملًا على القصة والرواية؛ حيث اتسعت الحدود المعرفية لنظرية السرد، وأصبح السرد فعلًا "لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواءٌ أكانت أدبية أم غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان"[(٢)]. وهو ما يؤكّده "رولان بارت Roland Barthes" حين يصرِّح بأن السرد أو القصة يمكن أن تعتمد على اللغة المستعملة شفوية أو مكتوبة، كما تعتمد على الصورة ثابتة أو متحركة، وكذلك الحركة، وباختلاط هذه المواد، كما أنها حاضرة في الأسطورة والخرافة وقصص الحيوان والقصة القصيرة والملحمة والتاريخ والتراجيديا والملهاة والصورة الملوّنة ...إلخ. إنها حاضرة بكل هذه الأشكال غير المتناهية تقريبًا، في كل الأزمنة والأمكنة والمجتمعات، إنها لتبدأ مع التاريخ الإنساني نفسه.[(٣)]

ويرتبط السرد عند جيرار جنيت بالأعمال والأحداث باعتبارها إجراءات خاصة، ومن ثَمَّ يؤكد على المظهر الزمني والدرامي للحكي.[(٤)] ومن هنا يأتي النّصّ الخرافي في الأمثال وفقًا لإجراءاتٍ خاصةٍ يسعى إليها السارد، مع تضمينها مظهرًا زمنيًّا وحبكة

(1) البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ميساء سليمان الإبراهيم، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، د. ط، ٢٠١١، ص١٢.

(2) الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص١٩.

(3) انظر: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: دكتور منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب/ سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ٢٥، ٢٦.

(4) النقد البنيوي والنص السردي (نماذج مختارة من النقد العربي)، محمد السويرتي، إفريقيا الشرق، ط١، ١٩٩١م، ص١٣.

درامية يؤديان إلى إحكام العمل السرديِّ. "فالسرد- واقعيّ أو خياليّ -ينتج عن الخطاب ويعده واقعيّة روائيّة بالذات"[1].

إنّ عملية استعادة الخرافة أو انتاجها داخل نصوص الأمثال وهي تمثل نزوعًا عامًا "تنطوي على تصورات ورؤى ووقائع، أسطوريّة ودينيّة وتاريخيّة قديمة"[2] ساعد على الحفاظ على جانب من الموروث الحكائي والانتقال به عبر الأنواع الثانوية والأشكال الهامشية خلال القرن الأول والثاني الهجريين إلى مراحل لاحقة شهدت نضوجًا حكائيًّا تطور خلاله الأنموذج السردي تطورًا ملموسًا، وتوفرت له بفضل عوامل متعددة فرصة اتساع عوالمه التخيلية وتعدد مستويات نصوصه ضمن حدودها التاريخية ومرتكزاتها وأنظمة اشتغالها السردي، يمكن إجمال السمات الخرافية في قصص الأمثال في النقاط الآتية:

أ -الحكاية عن الحيوان.

ب -الحكاية عن الأقوام البائدة.

ج -الجذور الأسطورية لعدد من الشخصيات

د -التناقض بين الصفات المعنوية والجسدية لعدد من الشخصيات المعلومة في انتقالها من نص إلى آخر أو في امتداد صيغ أمثالها داخل النص الواحد.

هـ -اعتماد نسبة مهمة من النصوص على الشخصيات مغفلة بلا اسم أو صفة ودونما تحديد زماني ومكاني، غير ما تقترحه قصة المثل من حضور خاص تكون الشخصية فيه (بنت الواقعة) أو المظهر الإنساني لصيغة المثل.[3]

وإذا كان السرد لصيق الصلة بالإنسان فمن باب أولى أن يكون ذا صلة وثيقة بما ينتجه الإنسان، والأمثال من أروع ما أنتج العرب؛ لوجازتها واحتوائها على تجربة حياتية وحكمة مستخلصة، مع مراعاة الإيجاز فيها ليسهل تناقلها، مع سجع بعضها ليعذب لفظها.

السّرد لغة:

قال ابن منظور: السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقًا بعضه في إثر بعض متتابعًا.

(1) عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص١٣.

(2) سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية مع عناية بكتاب المفضل بن محمد الضبي (الأمثال العربية)، د .لؤي حمزة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص٢٢.

(3) السابق، ص٢٢، ٢٣.

سرد الحديث ونحوه يسرده سردًا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردًا إذا كان جيّد السياق له، وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يَسْرُد الحديث سرداً أي يتابعه ويستعجل فيه.

وسَرَد القرآن: تابع قراءَته في حَدْر منه.

والسَّرَد: المُتتابع.

وقيل لأَعرابي: أَتعرف الأَشهر الحرم؟ فقال: نعم، واحد فَرْدٌ وثلاثة سَرْد، فالفرد رجَبٌ وصار فرداً لأَنه يأْتي بعده شعبانُ وشهر رمضانَ وشوّالٌ، والثلاثة السَّرْد: ذو القَعْدة وذو الحجة والمُحرّم.(١)

وبهذا المعنى أورد الرازيّ معنى السرد، قال: وفلان يَسْرُد الحديث إذا كان جيد السياق له، وسَرَد الصوم تابعه، وقولهم في الأشهر الحرم: ثلاثة سَرْدٌ؛ أي متتابعة، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب.(٢)

من خلال المعنى اللغوي في المعاجم يمكن أن نحصر معنى السرد لغةً في معنى التتابع والموالاة.

السرد اصطلاحًا:

يعد السرد فرعًا من فروع الشعرية المعنية باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية، والنظم التي تحكمها والقواعد التي توجه أبنيتها، وتحدد خصائصها وسماتها.(٣)

السرد موجود أبدًا، يقول بارث: إنه يوجد حيثما وجدت الحياة. لكن الوعي به – حتى في الغرب– لم يتحقق إلا مع تطور تحليل الخطاب السردي وظهور علمين يهتمان به –منذ الستينيات من القرن العشرين– في الدرسات الغربية نفسها، هذان العلمان هما: السرديات والسيميائيات الحكائية.(٤)

إن السرد وإن لم تتضح ملامحه إلا مؤخرًا سواءٌ في الثقافة الغربية أو العربية إلا أنه قديم بقدم العربي الأول، فلقد أدرج العرب مصطلح السرد منذ القدم في كلامهم ومعناه عندهم يتمحور حول التتابع، روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن حمزة الأسلمي رضي الله عنه، سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني رجل **أسرد الصوم**، أفأصوم في السفر؟ فقال: "صم إن شئت وأفطر إن شئت".

وبالنظر إلى الحكي نجده يقوم "على دعامتين أساسيتين:

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار النوادر للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، مادة سرَدَ، ص ١٩٨٧.

(2) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦، مادة سرَدَ، ص١٢٤.

(3) راجع: تحولات الشعرية، غليسي، يوسف، مجلة الفكر، العدد ٣، المجلد ٣٧، ٢٠٠٩م، ص٩، وأيضًا مقاربات نقدية في التّناص والرؤى الدلالية، إبراهيم عبد الله، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص١٤٨.

(4) الملتقى الدولي للسرديات، السرد والسرديات والاختلاف (وهم النظرية السردية الغربية)، أ.د سعيد يقطين، المغرب، ص٣.

أولاهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثًا معينة.

وثانيتهما: أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردًا، ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تُحكى بطُرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يُعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي.[1]

فبعض القصص تناسبها طريقة لا تناسب غيرها من القصص، وهذه الطريقة هي التي تحدد نوع الحكي للقصة، وهي المنطلق الأساسي في تمييز النوع السردي أو الأدبي.

العجائبي:

إنَّ تلازم العجائبي مع الأدب يستدعي تحديد المفهوم الأدبي للعجائبي، الذي يوصف بأنه خطاب بلاغي يستعمله السارد لأغراض جمالية وأبعاد دلالية.

ولقد وردت في لسان العرب مادة (ع. ج. ب) فالعجب والعُجب، إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، وجمع العجب، أعجاب، والتعجب: الأمر يتعجب منه، والعجب هو النظر إلى الشيء غير مألوف ولا معتاد.[2]

وقد أشار "جميل حمداوي" إلى عدم وجود مقابل في المعاجم العربية لمصطلح fantastique/fantastic المعروف في النقد الغربي، لذلك فضّل استعمال مصطلح "العجائبي" لقربه منه واشتراك المصطلحين في دلالات عدة: كالروعة والعظمة والعجب والاندهاش والخيال الوهمي والخارق غير الواقعي، كما ميّز بين مصطلحين قريبين منه، وهما: حكاية الخوارق، والحكاية الغريبة، لما لهما من خصوصيات دلالية وبنيوية وتداولية.[3]

إن استخدام مصطلح العجائبي ليس بغريب على اللغة العربية فقد استخدمته اللغة العربية وإن لم تصرح به؛ وذلك كما ورد في القرآن الكريم في سورة الجن على لسان الجنِّ في قوله تعالى:(إنّا سمعنا قرآنا عجبًا) وعلى لسان الكافرين:(إن هذا لشيء عجاب) وعلى لسان الملائكة: (قالوا أتعجبين من أمر الله)... إلخ، ومنه قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "عَجبا لأمر المؤمن...". وفي هذا دلالة واضحة على أمرين هما: أن استعمال اللغة العربية لمفهوم العجائبي جاء بمعنى أن الأمر فيه يكون على غير المعتاد، وأنّ كلمات (عَجبا، عُجَاب، وكل ما جاء من مادة ع. ج. ب) تدل على ما يدل عليه مصطلح العجائبي وهو الاندهاش والروعة والعظمة، وهذا ما يدل عليه أيضا مصطلح fantastic/fantastique.

---

(1) بنية النص السردي، د. حميد لحمداني، ص٤٥.

(2) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت، مادة (ع. ج. ب)، ص٣٨.

(3) الرواية العربية الفانطاستيكية، جميل حمداوي، مجلة الحوار المتمدن، 09 جوان2015 . http://www.arabicnadwah.com/articles/fantasia-hamadaoui.htm، تاريخ الاطلاع: ٢٣-١١-٢٠٢٢.

إنَّ الأدب العجائبي يستند إلى تداخل الواقع والخيال، وتجاوز السببية وتوظيف الامتساخ والتحويل والتشويه ولعبة المرئي واللامرئي، وحيرة القارئ بين عالمين متناقضين :عالم الحقيقة الحسية وعالم التصور والوهم والتخييل، مما يوقعه بين حالتي التوقع المنطقي والاستغراب غير الطبيعي أمام حادث خارق للعادة، لا يخضع لمنطق العقل والطبيعة وقوانينها.(١)

إنّ للعجائبي صورًا في النثر العربي الكلاسيكي، وهو ليس سوى تجاوزًا للواقع والمنطق إلى اللاواقع واللاعقل، عبر خاصيتي التعجب والتضاد مع المألوف(٢). بهدف تجاوزه.

المثل لغة:

تدور معاني المثل في المعاجم حول التسوية والشبه والمماثلة وغيرها من المعاني، يقول ابن منظور في كلمة مثل:

مثل: كلمةُ تَسْوِيَة. يقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُه بمعنًى ؛ قال ابن بري: الفرق بين المُماثَلَة والمُساواة أَن المُساواة تكون بين المختلفين في الجِنْس والمتَّفقين، لأَن التَّساوِي هو التكافُؤُ في المِقْدار لا يزيد ولا ينقُص، وأَما المُماثَلة فلا تكون إِلا في المتفقين، تقول: نحوُه كنحوِه وفقهُه كفقهِه ولونُه كلونه وطعمُه كطعمه، فإِذا قيل: هو مِثْلة على الإِطلاق فمعناه أَنه يسدُّ مسدَّه، وإِذا قيل: هو مِثْلُه في كذا فهو مُساوٍ له في جهة دون جهة، والعرب تقول: هو مُثَيْلُ هذا وهم أُمَيْثالُهم، يريدون أَن المشبَّه به حقير كما أَن هذا حقير.

والمِثْل: الشِّبْه.(٣)

وجاء في مختار الصحاح: مِثْلٌ كلمة تسوية يقال هذا مِثْلُهُ و مَثَلُه كما يقال شِبْهُه وشَبَهه و المَثَلُ ما يضرب به من الأَمْثَال و مَثَلُ الشيء أيضا بفتحتين صفته و المِثَالُ الفراش والجمع مُثُلٌ بضم الثاء وسكونها و المِثَالُ أيضا معروف والجمع أمْثِلةٌ و مُثُلٌ و مَثَّلَ له كذا تمثيلاً إذا صور له مثاله بالكتابة أو غيرها(٤)

نَخْلُص مما سبق أن المثل يعني الشبه والمِثل والمماثلة وهذا المعنى ما تدور الأمثال حوله من ذكر المثل في واقعة تشبه الواقعة التي قيل فيها المثل ابتداءً.

---

(1) الرواية العربية الفانطاستيكية، جميل حمداوي، مجلة الحوار المتمدن، 09 جوان 2015 . http://www.arabicnadwah.com/articles/fantasia-hamadaoui.htm

(2) العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومقامات ركن الدين الوهراني، فاطمة الزهراء عطية، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٥م، ص٢.

(3) لسان العرب، مادة: مثل، ص ٤١٣٢.

(4) مختار الصحاح، مادة: مثل، ص ٢٥٧.

وهنا نكتة لطيفة أن اللغة جاءت بالمعاني التي تستخدم فيها المصطلحات؛ فاللغة خادمة ومخدومة، تخدم المصطلحات بإيراد معانيها الواسعة، وتُخدَم بتقييد معاني المصطلحات.

المثل اصطلاحًا:

قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يُشَبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه.[١]

وقال ابن السّكّيت: المثل: لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره.[٢]

ويعد المثل جملة موجزة مفيدة تتوارثها الأجيال جيلًا عن جيل، ويعبر عنه بجملة محكمة بليغة، تشيع في الاستخدام على مختلف الطبقات والفئات، ويلخّص المثل قصة مكتملة الأركان في عبارة وجيزة قصيرة.

قال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة.[3]

إن الأمثال مرآة الشعوب بها تتجلى مظاهر تلك الحقبة الزمنية التي يعيشها ذلك الشعب، وتوضح تجاربه، وتجلي حضارته.

أقسام المثل:

إن الأمثال يمكن أن تندرج تحت أكثر من تقسيم وأكثر من تصور؛ ومن ثَمَّ يمكن تقسيم الأمثال وَفق ثلاثة اتجاهات:

١- حسب زمنيتها.
٢- حسب عِلَّة نشوئها.
٣- حسب سمتها الاصطلاحية.

هذا التقسيم هو ما أشار إليه الدكتور محمد توفيق أبو علي في كتابه الأمثال العربية والعصر الجاهلي.

أولًا: تنقسم الأمثال حسب أعمارها إلى:[٤]

١- الأمثال القديمة.
٢- الأمثال الجديدة، أو الأمثال المولدة.
٣- الأمثال الحديثة.

---

[1] مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، النيسابوري، الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٩٥٥م، ص٦.

[2] السابق، ص٦.

[3] السابق ص٦.

[4] انظر: الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد، رودلف زلهايم، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، دار الأمانة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص٤٣.

والقسم الذي تُعنى بها الدراسة هو الأمثال القديمة دون غيرها.

ثانيًا: الأمثال حسب علَّة نشوئها:[١]

١- الأمثال الناجمة عن حادث: وهي التي تقال بعد انتهاء حادث ما؛ مثل قولهم: "وافق شن طبقه".

٢- الأمثال الناجمة عن تشبيه: وهي التي تستقي مادتها من اتخاذ شخص ما أو شيء ما أو حدث ما مثالًا يُحتذى به؛ مثل قولهم: "أجود من حاتم".

٣- الأمثال الناجمة عن قصة: مثل قصة إحياء السيد المسيح –عليه السلام– الموتى التي أنتجت المثل "لمسةُ نبي".

٤- الأمثال الناجمة عن حكمة: مثل قول زهير بن أبي سُلمى:

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ مَن تصِب تُمِتْهُ ومَن تخطئ يُعمَّر فيهرمِ

٥- الأمثال الناجمة عن شعر: مثل قول أحدهم:

هذا أوان الشد فاشتدي زِيَم

٦- الأمثال الناجمة عن القرآن الكريم والحديث الشريف.

ثالثًا: الأمثال حسب سمتها الاصطلاحية: [٢]

١- المثل الموجز: وهو أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظة المثل، مثل: العود أحمد، ويدخل في هذا النوع أيضًا الأمثال التي على وزن أَفْعَل.

٢- المثل القياسي. وهو ذلك السرد الوصفي الذي يستهدف توضيح فكرة أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل. وهذا النوع يكاد يكون معدومًا في مدونات الأمثال العربية القديمة.

٣- المثل الخرافي. هو تلك الكلمات الموجزة السائدة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله، ومنها قول الضَّب حين احتكم إليه الأرنب والثعلب حول تمرة: في بيتِه يُؤتَى الحَكَمُ.

ويمكن تقسيم الأمثال بصورة عامة إلى قسمين:[٣]

حقيقية: إن كان لها أصل معروف نُقلت عنه وبقيت.

فَرْضية: إن كانت تُمثل على لسان حيوان أو نبات أو جماد. وهو النوع الذي يدرُسه هذا البحث.

---

[1] الأمثال العربية والعصر الجاهلي "دراسة تحليلية"، د. محمد توفيق أبو علي، دار النفائس، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص٤٤.

[2] الأمثال العربية، الفارس، ١٠-٧-٢٠١٠، https://www.startimes.com/?t=24308352، اطلعت عليه بتاريخ ١-١٢-٢٠٢٢م.

[3] الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد الإسكندري، ومصطفى عناني، مطبعة المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٢٥م، ص١٧.

بهذا يتبين أن الأمثال يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام حسب الزمن والنشوء والاصطلاح وتقسيم عام تندرج تحته الأقسام الثلاثة.

التداخل النصي في السرد العجائبي في الأمثال العربية القديمة

لعل من أبرز الصعوبات التي تواجه الدارسين في حقل العلوم الإنسانية هي التصورات المتباينة للمصطلح، وتحديد أرضية موحدة أو مشتركة للمصطلح من أبعد الغايات التي يرومها الدارس، ومن أبرز المجالات التي حدث فيها هذا التباين النظريات النقدية ومصطلحاتها على وجه التحديد.

لم يسلم مصطلح التداخل النصي –كغيره من المصطلحات النقدية الحديثة– من تعدد المسميات وتنوعها؛ فأحيانًا يطلق عليه التناص وهذا من أكثر المصطلحات شيوعًا في نظري وهو ما درج عليه أغلب الدارسين والباحثين، وكذا "التعالق النصي" و"التقاطع بين النصوص"، ولعل هذه التعددية في المسميات هي ما أسهمت في عدم وضع مفهوم جامع مانع لمصطلح التداخل النصي، وإن كانت التعريفات التي عُرِّف بها المصطلح تدور في قالب واحد (تقاطع النصوص).

ومن ثَم فقد تعددت تسميات مصطلح التداخل النصي وتنوعت، وهذا التعدد نابع من ترجمة المصطلح الأجنبي (Intertext) الذي أفرزته البيئة الغربية، فهو يُترجم إلى "التناص والتداخل النصي، أو التفاعل النصي"[(١)]، والتناص أو التناصية والنصوصية، وتداخل النصوص أو النصوص المتداخلة، والنص الغائب، والنصوص المهاجرة، وتضافر النصوص، والنصوص الحالة والمزاحة، وتفاعل النصوص، والتداخل النصي، والتعدي النصي، وعبر النصصية، والبينصوصية وهو وجود نص في نص آخر، والتنصيص"[(٢)]. يقول الدكتور سعيد علوش: "ويكون (التناص) طبقات جيولوجية كتابية تتم عبر إعادة استيعاب غير محدود لمواد النص؛ بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي، عبارة عن تحويلات لمقاطع مأخوذة من خطابات أخرى داخل مكون أيديولوجي شامل"[(٣)].

يرى بعض النقاد أن التناص له جذور عربية قديمة لكنه لم يعرف بالمسمى الذي عليه اليوم، بل كانت له مسميات متقاربة إلى درجة ما، لكنها ليست متطابقة، بل ثمة علاقة بين تلك المسميات، فهو في رأيهم يقترب اقترابًا كبيرًا من مصطلحات السرقات الأدبية، وهناك من النقاد والباحثين من لم يُفرِّق بين التداخل النصي والسرقات

---

(1) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة نظرية وتطبيقية)، د. عبد القادر بقشي، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧، من دون طبعة، ص١٦.

(2) التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص١٦.

(3) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص٢١٥.

الأدبية بل عدَّ التداخل النصي من تسميات السرقات الأدبية وعرَّفه بذلك، يقول الدكتور داود سلمان الشويلي: (لقد قلل (التناص) كثيرًا من وطأة تهمة (السرقة) وراح بعض نقادنا –جريًا على عادة الغربيين– يعدون (السرقة) –بكافة أنواعها– من باب (التناص) دون أن يفرقوا بين نوع وآخر من أنواعها).[1]

وفي رأيي لا يدخل مصطلح التداخل النصي بأي حالٍ من الأحوال ضمن السرقات الأدبية كما يزعم بعض النقاد، إن التداخل النصي في النصوص لا يكون سرقة إلا إذا تعمد المؤلف أخذ الشيء برمته أو قطعة منه ناسبًا إياه إلى نفسه، فالألفاظ مشتركة بين الناس ينهل كل واحد منها حسب مبتغاه، وإلا فإن الأوائل قد أتوا على جل الألفاظ العربية إن لم يكن كلها، وفي هذا الصدد يقول عنترة بن شداد:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ *** أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

ويقول أبو نُوَاس:

مَا أَرَانَا نَقولُ إِلَّا رَجِيعًا *** وَمُعادًا مِن قَولِنا مَكرورا

والتداخل النصي أمرٌ يُجبَر عليه المؤلف، لا مندوحة له سوى الخضوع له، فهو لا يُمنح حرية الاختيار في استدعاء النصوص؛ إذ المؤلف لديه مخزون في ذاكرته يستدعي منه ما يوافق نصه ويناسبه، يقول بارت: "وإن هذا الأمر لا يعني بتاتًا أني مختص ببروست: فبروست هو من يأتيني، وليس هو مَن أناديه، إنه ليس سلطة، ولكنه مجرد ذكرى مستديرة".[2]

إن المؤلف لا مفرَّ له من عملية التداخل النصي التي يُجبر عليها أو يستدعيها؛ ففكرة البَدْءِ من العَدم أمرٌ مستبعد، وعملية الإنتاج لا بد لها من عُدَّة وعتاد، ومادة خام يحوِّرها، فـ"الأدب ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين، والنص تشكيل لنصوص سابقة ومعاصرة، أعيدت صياغتها بشكل جيد، وليست هناك حدود بين نص وآخر، وإنما يأخذ النص من نصوص أخرى، ويعطيها في آنٍ".[3]

ولا يتطرق البحث عن العلاقة بين التداخل النصي والسرقات الأدبية، فكل مصطلحٍ له دلالته الخاصة وشتان ما بين التناصِّ والسرقات الأدبية؛ لأن مصطلح السرقة قد يوحي بعدم نزاهة النص الأدبي الذي يُطلق عليه هذا المصطلح، سواء أكان هذا المصطلح بنصِّه أم ببعض مفرداته أو درجاته؛ مثل: المسخ والسلخ وغيرهما من

(1) الذئب والخراف المهضومة – دراسات في التناص الإبداعي، داود سلمان الشويلي، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١، ص٧.

(2) لذة النص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، منشورات دار الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص٧٠.

(3) النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١١م، ص١١.

المسميات، أما التداخل النصي فيأخذ معنى أرقى من ذلك سواء أسمي تداخلًا نصيًا أو تناصًّا أو تعالقًا نصيًّا أو غيرها من مسمياته.

ولعل من المعاني القريبة إلى ذلك ما قاله ابن الأثير في باب السرقات: "واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني، إذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول لكن لا ينبغي لك أن تُعجِّل في سبك اللفظ على المعنى المسروق".[1] وهنا إشارة جليَّة على أن هذا إنما يكون عن قصد فهو يقول "تضع" وكذا التداخل النصي لا يستغني عن المؤلف.

مفهوم التداخل النصي لغة:

أشارت المعاجم العربية إلى مفهوم النص؛ فقد ورد في لسان العرب: النَّصُّ: رفْعُك الشيء، ونَصَّ الحديث يَنُصُّه نصًّا: رفَعَه، وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ، وقال عمرو بن دينار: ما رأَيت رجلاً أَنَصُّ للحديث من الزُّهْري أَي أَرْفَعَ له وأَسْنَدَ. يقال: نَصَّ الحديث إِلى فلان أَي رفَعَه، وكذلك نصَصْتُه إِليه، ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها رفَعَتْه ووُضِعَ على المِنَصَّةِ أَي على غاية الفَضِيحة والشهرة والظهور.[2] وتدور المعاني اللغوية للنص حول الرفع والظهور والشهرة.

مفهوم التداخل النصي (التناص) اصطلاحًا:

يقول جيرار جينيت: "إن المصطلح يشير إلى العلاقة بين نصٍ ما والنصوص التي تظهر بوضوح فيه، أما في صورته العامة والجذرية المتداولة (بارت وكريستيفا) فإن المصطلح يشير إلى العلاقة بين أي نصٍ بالمعنى العام للمادة الدلالية ومجموعة المعارف، وشبكة الشفرات الممكنة واللانهائية التي تمكِّنه من أن تكون له دلالة".[3]

إن التداخل النصي هو عَلاقة خطاب الآخر بخطاب الأنا، يتناص الخطاب الآخر مع خطاب الأنا السابق عليه، وكما أن التناص عَلاقة دَلالية له عَلاقة حوارية بين النصوص، يتعالق بعضها ببعض، فهذا التعالق يؤدي إلى اختفاء الأصول الأولى أو ربما تكاد أن تتلاشى وسط هذا التعالق، والتداخل النصي "ظاهرة مشخَّصة لكل خطاب، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حي، يفاجئ الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئًا سوى الدخول معه في تفاعل حادٍّ وحي".[4]

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، مطبعة مصطفى الثاني الحلبي، ١٩٣٩، ص٣٦٢.

[2] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ص٤٤٤١، مادة (نصّ).

[3] المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٣٣م، ص١١٧.

[4] التناص، تزفيتان تودوروف، ترجمة: فخري صالح، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد ٤، السنة الثامنة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

إن فكرة نزاهة النص من التعالق النصي مستبعدة إلا ما كان من آدم فهو النص الأب النزيه من أي تداخل إذ لا يوجد نص سابق عليه (نص بشري)، "ذلك أن (النص الماثل لم ينشأ من لا شيء، وإنما يتغذى جنيناً بدم غيره، ورضع حليب أمهات عديدات، وتداخلت فيه مكونات أدبية وثقافية متنوعة"[١] فهو تشكيل لنصوص سابقة عليه أو معاصرة له، والتّناص من هذه الوجهة "تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النَّص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها، وأُعِيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبقَ من النصوص السابقة سوى مادتها، وغاب (الأصل) فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران"،[٢] و"لا بد لكل إبداع بشري من أصول يرتكز عليها، على الرغم من أن هذه الأصول تختلف من حقبة إلى أخرى بحسب طرق معالجتها ومناهج تناولها".[٣]

والاستدعاء إنما يكون بطريقة عفوية لا يتعمدها المؤلف وهو ما أميل إليه؛ إذ إن المؤلف يستودع مخزونه القرائي والثقافي في العقل الباطن، ويُستدعى ذلك عند الحاجة إليه بصورة عفوية، حتى إن المؤلف قد لا يدري نسبة ما يستدعيه.

وعلى هذا فالتداخل النصي من الأمور الشائكة الكائنة بين النصوص التي لا تكشف عن وجهها إلا لذي اطِّلاع وثقافة واسعة، وهذا لا يكفي لسبر أغوار التداخل النصي الذي قد يكون في بعض المواضع شفافاً؛ إذ من علم شيئًا فقد غابت عنه أشياء، وإذا وصل الكاتب إلى هذه الدرجة من التداخل النصي فهو المبدع الذي لا يضاهى.

وفي هذا المعنى يقول الحاتمي: "سمعت أبا الحسن علي بن أحمد النوفلي يقول: سمعت أحمد بن أبي طاهر يقول: "كلام العرب ملتبس بعضه ببعض، وآخذ أواخره من أوائله، والمبتدَع منه والمخترَع قليل؛ إذا تصفحته وامتحنته، والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغةً وشعرًا من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامُه آخذًا من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس، وتخلل طريق الكلام، وباعد في المعنى، وأقرب في اللفظ، وأفلت من شباك التداخل، فكيف يكون ذلك مع المتكلف المتصنع والمعتمد القاصد؟!"[٤]

---

(1) النص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص١١.

(2) المرجع السابق، ص٢٩.

(3) أصول مصطلح التناص في النقد العربي القديم، فاضل عبود التميمي، مجلة الموقف الثقافي، العدد ٣٦، كانون الأول، ٢٠٠١م.

(4) حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق الدكتور: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٧٩، الجزء الأول، ص٢٨.

وهو تفاعل يكون بين نصين يأخذ أحدهما من السابق عليه فهو "الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص -أو الأجزاء- من نصوص سابقة عليها".[١]

والتناص كما هو معلوم صيغة صرفية على وزن "تفاعل" بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل بما يعني تداخل نص في نص آخر سابق عليه؛ ليكون علاقة خاصة بين نص سابق و نص لاحق، فالتناص اصطلاحًا هو تمازج بين النص الحديث والنص القديم، ليتولد من هذا التمازج نص إبداعي جديد، يحمل دلالات مختلفة تخدم الرسالة التي يطمح الشاعر بثها للقارئ.[٢]

وثمة علاقة ناشئة بين النصوص المتناصة لذا يُعرَّف التداخل النصي على أنه: العلاقة أو العلاقات القائمة بين نصٍ ما والنصوص التي يتضمنها أو يعيد كتابتها أو يستوعبها أو يبسّطها أو بعامّة يحوّلها والتي وفقًا لها يصبح مفهومًا.[٣]

إن النصوص المتأخرة (المنتَجة حديثًا) تعيد بناء النصوص القديمة وفق علاقة التعالق النصي، فلا يوجد نص حديث إلا وله جذور في القدم سواء أكانت تلك العلاقة واضحة أم خفيّة تحتاج إلى حاذقٍ ليتبيَّنها، وسواء أكانت تلك الجذور أتت في النص الحديث عمدًا أم عن طريق اللاوعي. إن التناصّ يكون باستلهام النص بلفظه أو بمعناه أو بهما معًا بتحرر دلالي من دلالة النص القديم.

ويؤدي التداخل النصي وظيفةً مهمةً في النص الأدبي بنوعيه الروائي أو الشعري، ولا يكون للزينة أو استعراض القدرات الثقافية لدى المؤلف، وإنما يأتي بغرض تعميق الفكرة التي يكتب عنها المؤلف أو بلورة نظرة معينة في قضية ما يراها، أو لأن التداخل النصي ينسجم مع البناء الفني أو الأسلوبي أو اللُّغوي للرواية.

إن انفتاح النص على نصوص أخرى يفتح مجال الرؤية أمام المؤلف لتتسع عبارته كما يقول النفري: "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"،[٤] فالمؤلف يختزل المعاني الكثيرة في المباني القليلة دلالة على اتساع رؤيته التي تمكّنه من الوصول إلى القطوف الدانية بكلمته.

والتداخل النصي في النص السردي للأمثال جمٌّ كثير لا يُحصى ولا يُعدُّ، هذا بالنسبة إلى الأمثال على عمومها بعيدًا عن عينة الدراسة (الأمثال العجائبية)، وهذا لا ينفي أن الأمثال العجائبية تداخلت مع غيرها من النصوص، ويظهر جليًّا لكل ذي عِيان

---

[1] التناص سبيلًا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦، العدد ٠١، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٢٧.

[2] التناص القرآني، الهادي عرجون، مجلة ديوان العرب، ١٤ يوليو ٢٠٢٠.

[3] المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص١١٧.

[4] المواقف والمخاطبات، محمد بن عبد الجبار النفري، تحقيق: آرثر أربري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٦.

أن الشعر نال الحظ الأعظم والنصيب الأوفى من ذلك؛ إذ نجد الأمثال –وهذا كثير– إن لم تكن مأخوذة من الشعر العربي فإنها تتداخل معه من جهة المعنى تداخلًا بيِّنًا، ومعنى ذلك أن الأمثال العربية ترد أحيانًا مأخوذة جملة ونصًّا من الشعر؛ لأن صاحبها أوردها على هيئة نص شعري، وبعض الأمثال نجد معناها واردًا في الأشعار وإن لم يكن صاحب المثل هو نفسه صاحب الشعر، وهذا يتنازعه أمران: الأول أن يكون قائل الشعر قد اقتبس المعنى من المثل فأورد على غراره البيت الشعري أو المقطوعة الشعرية، والثاني أن يكون قائل المثل التمس المعنى من الشعر فأطلقه مثلًا، ولعل من المهم أن نشير إلى جملة كثر ما نجدها في كتب الأمثال التي تعلِّق على المثل أو تورد قصته ومورده وهي قولهم: "فصارت مثلًا". وهذا يشير إشارة جليَّة إلى أن قائل المثل في مبدئه ما كان يقصد مثلًا بهذا –إذ الأمثال كما يتراءى للقاصي فضلًا عن الداني أنها تشيع في الناس ويتناقلها جيل بعد جيل، تورَد حسب مضرب المثل– فيصير قوله شائعًا متواترًا، فهو يقول القولة فتصير هكذا مثلًا لاستحسانها ولاصطحابها في غير موقفها، فتبلغ كلمته الآفاق ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت. وقائل المثل إنما يُخرج من جعبته أقوى سهامه وأنكاها؛ وذلك لأنه يلخِّص الموقف الجليل الكبير في الكلام القليل اليسير، ينبئك ذلك القول عمَّا يُبطنه من معنى وإن لم تصل إلى قصة ذاك المثل.

إن التداخل النصي الوارد في الأمثال (عينة الأمثال) هو تداخل نصي جزئي، فالتداخل النصي يُقسّم إلى نوعين هما:[1]

١. التناصّ الجزئي: وهو تعالق النص الأدبي اللاحق مع مقاطع وأجزاء من النصوص السابقة أو المعاصرة له، المنسوبة إلى كتّاب آخرين.

٢. التناصّ الكلي: وهو تعالق النص الأدبي اللاحق مع نصٍ سابق أو معاصر يكون له مرجعًا ونموذجًا كليًا.

يتجلى التداخل النصي في كتب الأمثال العربية القديمة بوضوح سواء أكان هذا التداخل على مستوى اللفظ أم على مستوى المعنى؛ فأحيانًا يضمن المؤلف كلامه كلمة أو بعض الكلمات أو يضمن كلامه معنًى من المعاني يُجمل ذلك المعنى قضية ما يودُّ المؤلف أن يضمنه كلامه أو يستدعيها داخل نصه، ولقد تنوَّع التداخل النصي في الأمثال العربية القديمة بين اللفظي والمعنى، وستذكر الدراسة النصَّ الذي ورد فيه التداخل النصي ثم تبين التداخل النصي الذي فيه، ويرصد الجدول التالي الأمثال التي ورد فيها تداخل نصي:

[1] التناص وتداخل النصوص (المفهوم والمنهج) دراسة في شعر المتنبي، د. أحمد عدنان حمدي، دار المأمون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٣٠.

م	المثل	موضع التناص	نوعه	دلالته
١	**الحذر قبل إرسال السهم**	الحذر قبل إرسال السهم	جزئي – القرآن	التحذير والتنبيه والنصح
٢	**قعي قعي**	أتوكَّأ عليها وأقضي بها حوائجي	جزئي – القرآن	الغدر والخداع
٣	**ألم أقل لك** لا تتلهفنَّ على ما فاتك	ألم أقل لك لا تتلهفنَّ على ما فاتك	جزئي – القرآن	التوبيخ والتقريع
٤	**النّارُ خَيْرٌ للنّاسِ مِنْ حَلْقَة**	سنا نار	جزئي – القرآن	
٥	**قَدْ كُنْتُ قَبْلَكِ مَقْرُورَةً**	فعل المصطلي	جزئي – القرآن	الندم مما يُظن فيه الخير
٦	**كيف أعاودك وهذا أثر فأسك**	هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنَّا عليه؟	جزئي – القرآن	الغدر ونقض المواثيق
٧	**كيف أعاودك وهذا أثر فأسك**	كيف أعاودك وهذا أثر فأسك	كلي – السنة	الحذر وأخذ الحيطة
٨	**كيف أعاودك وهذا أثر فأسك**	فهل لك في الصلح	جزئي – القرآن	التلطف وطلب الأمن
٩	**لاَ أُحِبُّ تَخْدِيشَ وَجْهِ الصَّاحب**	الغنيمة الباردة	كلي – السنة	المكر والخديعة
١٠	**قيل للشحم: أين تذهب؟ قال: أُقَوِّمُ المعوجَّ.**	قال: أُقَوِّمُ المعوجَّ.	جزئي – السنة	اللؤم
١١	**ولا أغني من جوع**	ولا أغني من جوع	كلي – القرآن	قِصَر النظر وقلة البصيرة
١٢	**حرٌ انتصر**	حر انتصر	جزئي – القرآن	الانتقام
١٣	**خيَّره بين خصلتي الضبع**	خيَّره بين خصلتي الضبع	جزئي – الشعر	التهكم والاستهزاء والسخرية

يُلاحظ من الجدول السابق أن النص القرآني جاء في المرتبة الأولى من النصوص التي تداخلت معها الأمثال سواء على مستوى التناص الجزئي أو الكلي، لفظًا أو معنًى، وجاء في المرتبة الثانية السنة النبوية، وفي المرتبة الثالثة الشعر الذي لم يكن له إلا حضور نسبي في عينة الدراسة، غير أن له الصدارة في كتب الأمثال بصفة عامة.

نوع التناص	النسبة المئوية
القرآن	٦٩,٢
السنة	٢٣
الشعر	٧,٧

وفيما يلي تحليل لتلك الأمثال التي ورد فيها التداخل النصي.

١- الحذر قبل إرسال السهم

تزعم العربُ أن الغراب أراد ابنُهُ أن يطير، فرأى رجلًا قد فَوَّقَ سَهْمًا ليرميَه، فطار، فقال أبوهُ: اتّئِدْ حتى تعلم ما يريد الرجل، فقال له: يا أبتِ الحذر قبلَ إرسال السهم.[1]

في هذا المثل إشارة إلى قول الله تعالى: "وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ"؛[٢] ففي هذه الآية يأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المجاهدين بأن يأخذوا حذرهم من الكفار عند إقامة الصلاة بأن يصلُّوا وفي حوزتهم السلاح وأخذ الحيطة والحذر مع ذلك، وفي المثل يأمر الغراب ابنه أن يأخذ الحذر؛ لأن الرامي كان قد أطلق سهمه، فهو يحذره من أن يطير في أثناء إطلاق السهم لئلا يصيبه قبل أن يعلم وجهة الرامي وما يبتغيه من إرسال السهم.

إن النص القرآني من أكثر النصوص التي نهل منها المؤلفون لفظًا ومعنًى، فتَوَّجُوا نصوصهم ببعض كلماته ومعانيه، ولا مناص من ذلك؛ فهو المصدر الأول للمعرفة الإنسانية وفق المنظور الإسلامي، ومن جانب آخر تنوعت معارفه من قصص وأمثال وصور تصويرية بإعجاز بلاغي لم يَسبق له مثيل ما أغرى الرواة والشعراء أن ينهلوا من معينه الصافي، ويفجِّر التداخل النصي مع القرآن الكريم أو الكتب السماوية الأخرى لدى المؤلف طاقاتٍ دَلاليةً وإبداعيةً جديدةً، وهذا يعزز لديه بناء الرؤى والتداخل النصي ليس اقتباسًا للنصوص فقط بهدف تزيين النص، لا وإنما لا بد

[1] مجمع الأمثال، ص٢٠٦.
[2] سورة النساء، الآية: ١٠٢.

للمؤلف من فهم النص وتطويعه قبل استدعائه والإفادة من معطياته في تغذية تجربته أو الدلالة.

٢- أتوكَّأ عليها وأقضي بها حوائجي:

عن يحيى بن عبد العزيز: قال: حدَّثني نعيم عن إسماعيل عن رجل من ولد أبي بكر الصدِّيق -رضوان الله عليه- عن وهب بن منبه قال: نصب رجل من بني إسرائيل فخًّا، فجاءت عصفورة فنزلت عليه، فقالت: ما لي أراك منحنيًا؟ قال: لكثرة صلاتي انحنيت. قالت: فمالي أراك بادية عظامك؟ قال: لكثرة صيامي بدت عظامي. قالت: فمالي أرى هذا الصُّوف عليك؟ قال: لزهادتي في الدنيا لبستُ الصوف. قالت: فما هذه العصا عندك؟ قال: **أتوكَّأ عليها وأقضي بها حوائجي**. قالت: فما هذه الحبَّة في يدك؟ قال: قربان إن مرَّ بي مسكين ناولته إياه. قالت: فإني مسكينة! قال: فخذيها. فدنت فقبضت على الحبة، فإذا الفخ في عنقها. فجعلت تقول: قعي قعي.[1]

إن هذا المثل أشار إلى آيتين في موضعين مختلفين، وضمَّن معنيهما ولفظيهما؛ فأما الموضع الأول فهو: **(أتوكأ عليها وأقضي بها حوائجي)**، وفي هذا إشارة إلى قول الله -تعالى-: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[2]، وهو تداخل يفضي إلى المفارقة بين القصد من وراء إجابة سيدنا موسى -عليه السلام- وإجابة الفخ الذي نصبه الإسرائيلي؛ فإن إجابةَ سيدنا موسى إجابةٌ حقيقةٌ صريحةٌ، أما إجابة الفخ فإجابة مراوغة واستدراج للعصفورة؛ ليطمئنها إليه، وفي هذا إشارة إلى قوم بني إسرائيل وسوء نياتهم وإنْ قدَّموا بين يديها ما يخدعون به مَن أمامهم، وقدم الفخ في سبيل استدراجها جملة من العبادات -التي يرائي بها تدلل على أنه تقيٌّ ولا يمكن أن يوقعها في شِبَاكِه- من صلاة وصيام وصدقة وزهد في الحياة، ثم أراد أن يَزيد من طمأنتها بأن تلك العصا التي معه إنما هي للتوكُّؤ، وما دام يتوكأ عليها فإن به من الاستضعاف ما يقعده عن إيذائها، ثم أردف قائلًا: (وأقضي بها حوائجي) وهو المعنى الذي ضمنه من قول الله تعالى على لسان موسى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾، وسيدنا موسى بغى من هذا القول إطالة الكلام استئناسًا بحديثه مع ربه -سبحانه وتعالى-، أما فخ الإسرائيلي فكانت إطالة حديثه مع العصفورة رغبةً منه في استدراجها، ومن جهة أخرى فإن الحديث بين سيدنا موسى وبين ربه كان من الأدنى إلى الأعلى، عكس ما كان من حديث الفخ (الأعلى) والعصفورة (الأدنى)، كما أن موسى -عليه السلام- علامة على الطُّهر والوفاء بالعهد،

---

[1] العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١، ١٩٨٣م، ج٣، ص٧، ٨.

[2] سورة طه، الآية: ١٨.

أما بنو إسرائيل فعلامة على الغدر ونقض المواثيق والتخفي وراء كل ساتر يَخدع بأنهم يوفون بعدهم، بل يوحي بأنهم ليسوا أهلًا لأن تؤخذ عليهم العهود والمواثيق.

ولا شك أن الثقافة تؤثر في الشخصية؛ فالشخصية التي تعيش في مجتمع تسوده ثقافات يعمها الغدر ونقض العهود والمواثيق تركَّبت فيها كل تلك الخصال كما في شخصية الإسرائيلي التي اجتمعت فيها كل صفة قبيحة، وثقافة المجتمع هي التي تحدد –غالبًا– طباع الأفراد وميولهم، والشخصية الإسرائيلية شخصية معقَّدة، متناقضة حتى مع ذاتها، تعاني من عدة أمراض مثل: الاستعلاء والكبر والغرور وكراهية الغَير، وهذا ما ورثوه عن آبائهم.

والموضع الثاني (قربان إنْ مرَّ بي مسكين ناولته إياه) الذي يتداخل مع قول – الله تعالى–: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"،[1] فابنا آدم (قابيل وهابيل) تقرب كل منهما بقربان لله –تعالى– فتُقبِّل من هابيل ولم يُتقبَّل من قابيل فأوعز قابيل إلى أخيه بالقتل لعدم تقبل قربانه، وفي الآية دلالة على تقبل القربان أو عدم تقبله، وفي المثل يشير الراوي إلى أن القربان سيُقبل لا محالة (لحاجة المسكين "الطيور" إلى ذلك) ومع تقبل القربان فإن آخذه سيُقتل لا محالة، إن قابيل أراد قتل أخيه لعدم تقبل قربانه، أما فخ الإسرائيلي فمع تقبل قربانه إلا أنه سيقتل العصفورة؛ لأن المكر في طبيعته، (قالت: فإني مسكينة. قال: فخذيها، فدنت فقبضت على الحبة فإذا الفخ في عنقها)، لما أراد هابيل أن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى قتله أخوه قابيل، فلم يحقق قابيل هدفه من التقرب إلى الله، وكذا الفخ لم يكن يبتغي بهذه الحبة الصدقة فعلًا، لذا لما دنت العصفورة وأرادت التقرب منه كان مصيرها أن تُنهى حياتُها.

إن عنوان المثل (فخ الإسرائيلي والعصفورة) لم يأتِ اعتباطًا وإلا لاختير أي عنوان آخر أو أي أمة أخرى، ولكن اختيرت لفظة إسرائيلي للدلالة على ما في هؤلاء القوم من صفات ذميمة، ثم في قصة المثل عُددت الصفات التي وإن كانت في ظاهرها صفات محمودة إلا أن المراد ضدها، وهذا ما فُسِّر في نهاية المثل من تخلِّي الفخ عن كل العبادات التي استدرج بها العصفورة ليزيح عن وجهه ذلك القناع الذي كان يتقنَّع به ويظهر وجهه الحقيقي ليبين حقيقة بني إسرائيل.

جاء في تفسير قول العصفورة: (قعي قعي) لا غرني ناسكٌ مراء بعدك أبدًا، إشارة إلى التحذير من بني إسرائيل؛ أي لا يغرّك بنو إسرائيل أن تصنَّعوا صناعة

[1] سورة المائدة، الآية: ٢٧.

المعروف إليك، فإنهم وإن فعلوا فإنهم محتالون؛ ولا غرو في ذلك فقد احتالوا على شرع رب العالمين، وهذا مما لا يخفى على أي أحد طالع القرآن.

٣- ألم أقل لكَ لا تتلهفنَّ على ما فاتك؟

عن داود بن أبي هند عن الشَّعبي: أن رجلاً من بني إسرائيل صاد قبَّرة، فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك فآكلك! قالت: والله ما أَشْفِي من قَرَمٍ ولا أغني من جوع، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي: أما الواحدة فأعلمكها وأنا في يدك، والثانية إذا صرت على هذه الشجرة، والثالثة إذا صرت على الجبل.

فقال: هات الأولى، قالت: لا تتلهفن على ما فاتك. فخلَّى عنها؛ فلما صارت فوق الشجرة قال: هات الثانية. قالت: لا تصدِّقن بما لا يكون أنه يكون. ثم طارت فصارت على الجبل، فقالت: يا شقيُّ! لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درَّة فيها زنة عشرين مثقالًا. قال: فعضَّ على شفتيه وتلهَّف ثم قال: هات الثالثة. قالت له: أنت قد نسيت الاثنتين، فكيف أعلِّمك الثالثة؟ **ألم أقل لك** لا تتلهفنَّ على ما فاتك؟ فقد تلهفت عليَّ إذ فتُّك، وقلت لك: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون! فصدقت! أنا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالًا، فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها؟[١]

يتناص (ألم أقل لك لا تتلهفنَّ على ما فاتك) مع قول الله تعالى: "قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا"[٢] ومع قوله تعالى: "قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ"[٣] إن قول "ألم أقل لك" في المثل والآية يدل على اللوم والعتاب والتقريع، والضمير في "لك" يدل على التأكيد بحضور المخاطب/المروي عليه، بخلاف ما لو كان الكلام على وجه العموم، ودلالة السؤال في قول القبرة: "ألم أقل لك...؟" يدلّ على الاستنكار؛ استنكار سرعة النسيان، واستنكار لطبيعة الإسرائيلي الذي لم يلبث أن طلب من القبرة ما نهته عنه.

إن المفارقة بين قول القبرة الوارد في مورد المثل وقول الله تعالى "ألم أقل لك" أن الخضر ذكر موسى في المرة الأولى بقوله: "ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا" وفي الثانية أكد قوله بـ "لك" لزيادة اللوم والعتاب وتأكيده، أما القبرة فلم تتدرج في اللوم والعتاب من التذكير إلى التقريع، وإنما انتقلت إلى التقريع مباشرة، فالإسرائيلي لا يجدي العتاب اللين معه نفعًا؛ لأنه مع شدة التقريع واللوم فسرعان ما ينسى.

---

[1] العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج٣، ص٨.
[2] سورة الكهف، الآية: ٧٥.
[3] سورة القلم، الآية: ٢٨.

يقول ابن جَماعة: "إن الخضر قصد بالأولى تذكير موسى –عليهما السلام– بما شرط عليه فخاطبه بلطف وأدب معه، وفي الثانية كرر موسى الإنكار عليه، فشدد الخضر عليه، وأكد القول بقوله: "لك"؛ لأن كاف الخطاب أبلغ في التنبيه"[1].

وكأن القبرة أرادت التجرد من ثوب اللطف واللين مع الإسرائيلي إلى الشدة وتغليظ القول.

٤- فعل المصطلي

تزعم العرب أن الضَّبعَ رأتْ نارًا من مكان بعيد، فقابلتها وأقْعَتْ، **فِعْلَ المُصْطَلِي** وقَالت: قد كنت قبلك مقرورة.[2]

يضرب لمن يُسَرُّ بما لا يناله منه خير.[3]

في هذا المثل تناصٌّ مع قول الله تعالى: "أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"[4] فحينما سار موسى بأهله من مدين إلى مصر وقد آذاهم برد ليلهم فآنس نارًا من بعيد قال لأهله امكثوا لعلي آتيكم من هذه النار بخبرٍ أو آتيكم بنار تستدفئون بها من البرد، وكذا فعل الضبع وفعل فعل المصطلي بأن جلس على رجليه الخلفية ونصب رجليه الأمامية، فدل المثل (قد كنت قبلك مقرورة) على أن الضبع تقربت من النار غير أنها لم ينلها خير من الاقتراب من النار وسرت بما لم تنل منه خيرًا كثيرًا، فهي لم تأتِ إلى النار كي تستدفئ بخلاف السبب الذي سعى موسى –عليه السلام– من أجله إلى النار؛ وهو أن يأتيَ لأهله بقبس من النار التي رآها كي يستدفئوا بها من برد الشتاء.

٥- سنا نار:

زعموا أن الضَّبُعَ رأت سَنَا نارٍ من بعيد، فقابلتها ثم أَقْعَتْ ورفعت يَدَيْها فِعْلَ المُصْطَلى وبهأت بالنار ثم قَالَت عند ذلك: النار خير للناس من حَلْقَة.

في هذه الجملة من المثل إشارة إلى قول الله تعالى: "يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ"[5] أي يكاد ضوء برقه من شدته يذهب بالأبصار ويخطفها إذا اتبعته وتراءته، كذا فعل الضبع عندما رأي سنا نارٍ من بعيد اتبعه ببصره وذهب إليه.

٦- هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنَّا عليه؟

جاء هذا على لسان أخي المقتول في الحديث الذي دار بينه وبين العقرب في مثل (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك)، وأصلُ هذا المثل على ما حَكَتْه العرب على لسان الحية "أن

---

[1] كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، تحقيق الدكتور: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص٢٤٢ – ٢٤٣.

[2] مجمع الأمثال، الميداني، ص١١٠.

[3] السابق، ص١١٠.

[4] سورة النمل، الآية: ٧.

[5] سورة النور، الآية: ٤٣.

أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما فأجدبت بلادهما، وكان قريبًا منهما وادٍ فيه حية قد حمته من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي الملكئ فرعيت فيه إبلي وأصحلتها، فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحدًا لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته؟ قال: فو الله لأهبطنَّ، فهبط ذلك الوادي فرعى إبله به زمانًا، ثم إن الحية لدغته فقتلته، فقال أخوه: ما في الحياة بعد أخي خير ولأطلبنَّ الحية فأقتلها أو لأتبعنَّ أخي، فهبط ذلك الوادي فطلب الحية ليقتلها، فقالت: ألست ترى أني قتلت أخاك، فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي فتكون به وأعطيك ما بقيت دينارًا في كلِّ يوم، قال: أفاعلة أنت؟ قالت: نعم، قال: فإني أفعل، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضيرها، وجعلت تعطيه كلَّ يوم دينارًا فكثر ماله ونبتت إبله، حتى كان من أحسن الناس حالًا، ثم إنه ذكر أخاه فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان، فعمد إلى فأس فأحدَّها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ووقع الفأس بالجبل فوق جحرها فأثر فيه، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه، فلما رأى ذلك وتخوَّف شرَّها ندم، فقال لها: هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنَّا عليه؟ فقالت: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك وأنت فاجر لا تبالي العهد".[1]

يتداخل معنى هذا المثل –الذي فيه مشاحنة بين العقرب التي قتلت أخا الطالب بالثأر وبين هذا الطالب الذي يوقِّع اتفاقية صلح بينه وبين العقرب التي تنص بنودها على أن يكف أذاه عنها ومطالبته بثأر أخيه على أن تعطيه كلَّ يومٍ دينارًا، وتنتهي هذه الاتفاقية بخيانة الطرف الثاني الذي يغدر بالعقرب غدرًا باء بالفشل؛ ما أدى إلى رفض العقرب لتجديد هذه الاتفاقية مرة أخرى ومنعت عنه الدينار الذي كانت تؤديه إليه الذي كوّن منه ثروته– مع قول الله –تعالى–: "فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً"،[2] وقوله: "الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ"،[3] وقوله: "وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ"،[4] وقوله: "أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم"،[5] يتناصُّ هذا المثل حينما خان أخو المقتول العهد الذي بينه وبين العقرب ونقضه فحدَّ فأسه ليضرب العقرب ضربة أخطأتها، وتتفق دلالة الآيات مع المثل في نقض العهود والمواثيق.

---

[1] أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨١م، ص١٧٧، ١٧٨.
[2] سورة المائدة، الآية: ١٣.
[3] سورة الأنفال، الآية: ٦٥.
[4] سورة الرعد، الآية: ٢٠.
[5] سورة البقرة، الآية: ١٠٠.

٧- **كيف أعاودك وهذا أثر فأسك** (من المثل السابق)

يتناص هذا مع قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين". يشير النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث عن طريق الإخبار والأمر "لا يُلدغ" خبر يراد به الأمر، وهو الأمر بأخذ الحيطة والحذر وألا يكون المؤمن غافلًا عما يُحاك به، والعقرب تأبى أن تأمن أخا المقتول بعد ما غدر بها فأخطأها وكانت علامة فأسه في الصخرة مذكرًا لها، إن المثل والحديث يشتركان في قوة الألم الحادث من اللدغ الذي يكون من ذوات السموم ومن الفأس التي إما أن تقتلها وإما أن تصيبها في غير مقتل فيحدث من الألم البالغ ما يحدث.

إن ترك العقرب لمعاودة الصلح أمر فيه حذر وحيطة وهو من الفطنة التي حث النبي –صلى الله عليه وسلم– عليها بألا يُخدع المرء مرتين من الجحر ذاته وهو الأمر الذي فعلته العقرب.

إن المثل يعالج قضية سلوكية مهمة ألا وهي قضية الحذر من نقض المواثيق والعهود، والتنبه لذلك وأن يؤخذ المرء على حين غرة من أمره. ولعل من المهم هنا أن تشير الدراسة إلى أن الأمثال عالجت بعض القضايا الكبيرة سواء الاجتماعية أو السلوكية أو الأخلاقية أو الثقافية وغيرها من القضايا، بل يُلاحظ أن الأمثال حذرت من أمور صغيرة (الشر) على غير العادة؛ فمن العادة أن تحذِّر من كبار الشر كما في مثل (أشرى الشر صغاره)[1]، وهو خارج عينة الدراسة غير أن موضوعه يتصل بالمثل السابق (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك).

٨- **الغنيمة الباردة:**

قَالَ يونس: تزعم العربُ أن الثعلبَ رأى حَجَرًا أبيض بين لِصْبَيْن ، فأراد أن يَغْتَالَ به الأَسد، فأتاه ذاتَ يوم فَقَالَ: يا أبا الحارث، **الغنيمة الباردة**، شحمة رأيتها بين لِصْبَين، فكرهت أن أدنو منها، وأحببت أن تولَّى ذلك أنت، فهلم لأريكها، قَالَ: فانطَلَقَ به حتى قام به عليه، فَقَالَ: دونَكَ يا أبا الحارث، فذهب الأَسد ليدخل فضاق به المكان، فَقَالَ له الثعلب: اردُسْ برأسك، أي ادفَعْ برأسك، قَالَ: فأقبل الأَسد يردس برأسه حتى نَشَبَ فلم يقدر أن يتقدم ولاَ أن يتأخر، ثم أقبل الثعلبُ يخورُه، أي يخدش خوَرَانه من قبل دُبُره، فَقَالَ الأَسد: ما تصنْع يا ثُعَالة؟ قَالَ: أريد لأستنقذك، قَالَ: فمن قِبل الرأس إذن، فَقَالَ الثعلب: لاَ أحب تخديشَ وجه الصاحب.

يضرب للرجل يُرِيكَ من نفسه النصيحة ثم يَغْدِر.[2]

---

[1] مجمع الأمثال، الميداني، ج٢، ص٣٧٢.

[2] مجمع الأمثال، الميداني، الجزء الثاني، ص٢٤.

جاء هذا في إشارة إلى الحديث النبوي الذي يرويه عامر بن مسعود عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "الغنيمة الباردة الصوم في الشتاء".[1]

والغنيمة الباردة هي ما يغنم به الإنسان دون مشقة؛ فكما يحصل المؤمن على أجر الصيام في الشتاء دون مشقة لعدم تعرضه للعطش الشديد وظمأ الأكباد مما يلاقيه في صوم الصيف شديد الحرارة فإن الثعلب يدل الأسد على شحمة بين شعبين صغيرين في جبل ليأخذ هذه الشحمة دون أدنى مشقة منه.

إن توظيف نصوص السنة النبوية من أنجع الطرق التي تساعد على إظهار قوة النص؛ لما في النص النبوي من قدسية، ولما لدى الناس من اهتمام بهذه النصوص وتمثّلها؛ ولأن النبي –صلى الله عليه وسلم– أوتي جوامع الكلام بما يحمله من قوة بلاغية تتجلى حسب كل مقام يرد فيه النص، فالنص النبوي يُورِد المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة لتؤدي أعمق دلالة.

٩- ولا أغني من جوع:

وقصة هذا المثل أن " داود بن أبي هند عن الشَّعبي: أن رجلًا من بني إسرائيل صاد قبَّرة، فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك فآكلك! قالت: والله ما أَشْفِي من قَرَمٍ **ولا أغني من جوع**، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي: أما الواحدة فأعلمكها وأنا في يدك، والثانية إذا صرت على هذه الشجرة، والثالثة إذا صرت على الجبل..."[2]

يشير المثل هنا إلى قول الله تعالى: "لَا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ"[3]. إن الضريع – طعام أهل النار– لا يغني من الجوع ولا يسمن، كما أنه يزيد من عذابهم وشدة ألمهم، وكذا القبرة لا تغني من جوعٍ لصغر حجمها، وهي مع ذلك تشير إلى أنه لو أكلها _مع عدم إغنائه من الجوع_ فهي إنما تكون غصة حلقه وشيئًا يتألم منه في بطنه. إن الطعام إما أن يسد جوع صاحبه فيزيل ألم جوعه وإما أن يسمنه ويزيد وزنه فيذهب ما به من هزال، وأكل القبرة ليس فيه من الأمرين شيء، وفي هذا إشارة إلى غفلة الإسرائيلي وعدم فطنته وسهولة خداعه.

وهكذا فإن النص المقتبَس يكسب النص المقتبِس دلالات أوسع مما لو كان لم يتناص مع نص آخر.

١٠- حرٌ انتصر:

وأَصله رمز من رموز الْعَرَب، قَالُوا: وجدت الضبع تَمْرَة فاختلسها الثَّعْلَب فلطمته فلطمها فتحاكما إِلَى الضَّب، فَقَالَت: يَا أَبَا الحسل. قَالَ: (سميعًا دَعَوْت). قَالَت: جئْنَاك نحتكم

---

[1] ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، من دون تاريخ طبع، ص٥٧٥.

[2] العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، الجزء الثالث، ص٨.

[3] سورة الغاشية، الآية: ٧.

إِلَيْك. قَالَ: (في بَيته يُؤْتى الحكم). فَقَالَت: إِنِّي التقطت تَمْرَة. قَالَ: (حلوًا جنيت). قَالَت: إِن الثَّعْلَب أَخذهَا. قَالَ: (حَظّ نَفسه بغى). قَالَت: لطمته. قَالَ: (أسفت والبادي أظلم). قَالَت: فلطمني. قَالَ: (حر انتصر). قَالَت: اقْضِ بَيْننَا. قَالَ: (حدث حديثين امْرَأَة فَإِن لم تفهم فَأَرْبَعَة).[1]

قال الله تعالى: "ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل". إن القرآن الكريم لم يعب على من انتصر بعد ظلمه وأخذ بحقه، ولا سبيل عليه لأنه انتصر بحق، ومن أخذ حقه ممن ظلمه دون أن يتعدى في أخذ حقه فليس بظالم له وليس عليه سبيل، وهذا ما حكم به الضب للثعلب إذ انتصر لنفسه (لطمة بلطمة) ولم يبغ ولم يزد على الأخذ بحقه. إن الإنسان بطبيعته يميل إلى أن ينتقم حينما يظلم، كذلك فعل الثعلب حينما انتصر لنفسه بأن انتقم من الضب.

إن الآية ربطت الانتصار بالظلم أيًّا كان المظلوم، لكن المثل ربط الانتصار بأن يكون للحر دون غيره، فإن لم يكن المظلوم حرًّا فإنه لن ينتصر، مع اتفاقهما في أن المنتصر (المظلوم) ليس عليه حرج وليس عليه سبيل، ولا يمكن أن يعاب عليه ما دام الاعتداء على قدر ما اعتُدي به عليه ودون ظلم.

إن المثل في استدعائه لهذا الآية القرآنية وربطه بين الحرية والانتصار يبعث في النفس حريتها ويحركها ناحية الانتصار وعدم الخضوع والخنوع وعدم الرضا بالذل والمهانة.

١١- خيّره بين خصلتي الضبع/ عرض عليه خصلتي الضبع/ أكره من خصلتي الضبع:

وأَصله فِيمَا تزْعم الْعَرَب أَن الضبع صادت ثعلبًا، فَقَالَ: الثَّعْلَب مُنِّي عليَّ أم عَامر. فَقَالَت: خيرتك بَين خَصْلَتَيْن؛ إِمَّا أَن آكلك وَإِمَّا أَن أُقْتلك. فَقَالَ الثَّعْلَب: أما تذكرين أم عَامر يَوْم نكحتك بهوب دابر؟ فَقَالَت الضبع: مَتى ذَا؟! فانفتح فوها فَأَفلَت الثَّعْلَب.[2]

إن الضبع خيَّرت الثعلب بين أن تأكله أو أن تمزقه حين صادته، وهذا مما لا خيار فيه فأحلى الأمرين مرٌّ، وفي هذا إشارة إلى قول أبي فراس الحمداني:

وقال أصيحابي: الفرار أو الردى؟ *** فقلتُ هما أمران أحلاهما مرٌّ[3]

والخيار إنما يكون بين شيئين أحدهما أيسر من الآخر أو يتساويا فيُختار أحدُهما دون الآخر، لكن الضبع خيّرت الثعلب بين أمرين فيهما هلاكه، وإنما يكون التخيير بين الشريْن من أجل الانتقام لا من أجل الاختيار، ويكون فيه مع ذلك تهكم من الذي يُخيَّرُ".

---

[1] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ص٢٩٧.

[2] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ص١٤٨.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني، شرح الدكتور: خليل الدويْهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص١٦٥.

الخاتمة:

مما تقدم من تداخل نصي بين الأمثال العجائبية وغيرها من النصوص يتبيَّن:

١. أن جُلَّ الأمثال العجائبية تداخلت مع نصوص مقدَّسة (القرآن والسنة) وغلب عليها طابع تلك النصوص.

٢. أن التداخل النصي في الأمثال العجائبية تنوع بين المعنى واللفظ؛ فكان منها ما اقتُبس فيه المعنى دون اللفظ، ومنها ما اقتُبس فيه اللفظ دون المعنى، ومنها ما اقتُبس فيه اللفظ والمعنى معًا.

٣. أن بعض نصوص الأمثال اتفقت مع دلالة النصوص الأصلية وبعضها اختلف عنها، وكان منها ما استدعى السياق المصاحب لتلك النصوص التي تناص معها ومنها ما تناص معها جزئيًّا فلم يستدعِ سياق تلك النصوص.

ثبت المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر

القرآن الكريم

أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، الجزء الثالث.

مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، النيسابوري، الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٩٥٥م.

ثانيًا: المراجع

أصول مصطلح التناص في النقد العربي القديم، فاضل عبود التميمي، مجلة الموقف الثقافي، العدد ٣٦، كانون الأول، ٢٠٠١م.

الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد، رودلف زلهايم، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، دار الأمانة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

الأمثال العربية والعصر الجاهلي "دراسة تحليلية"، د. محمد توفيق أبو علي، دار النفائس، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ميساء سليمان الإبراهيم، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، د. ط، ٢٠١١م.

بنية النص السردي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

تحولات الشعرية، غليسي، يوسف، مجلة الفكر، العدد ٣، المجلد ٣٧، ٢٠٠٩م.

التناص القرآني، الهادي عرجون، ديوان العرب، ١٤ يوليو ٢٠٢٠.

التناص سبيلًا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦، العدد ٠١، القاهرة، ١٩٩٧م.

التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة نظرية وتطبيقية)، د. عبد القادر بقشي، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.

التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

التناص وتداخل النصوص (المفهوم والمنهج) دراسة في شعر المتنبي، د. أحمد عدنان حمدي، دار المأمون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

التناص، تزفيتان تودوروف، ترجمة: فخري صالح، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد ٤، السنة الثامنة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، ترجمة الدكتور: جعفر الكتاني، دار الرشيد، ١٩٧٩م.

ديوان أبي فراس الحمداني، شرح الدكتور: خليل الدوَيْهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

الذئب والخراف المهضومة – دراسات في التناص الإبداعي، داود سلمان الشويلي، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م.

سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية مع عناية بكتاب المفضل بن محمد الضبي (الأمثال العربية)، د. لؤي حمزة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.

ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، د.ط.

العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومقامات ركن الدين الوهراني، فاطمة الزهراء عطية، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٥م.

عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جَماعة، تحقيق الدكتور: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

لذة النص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، منشورات دار الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، مطبعة مصطفى الثاني الحلبي، ١٩٣٩م.

مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: دكتور منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب/ سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٣٣م.

معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

مقاربات نقدية في التّناص والرؤى الدلالية، إبراهيم عبد الله، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

الملتقى الدولي للسرديات، السرد والسرديات والاختلاف (وهْم النظرية السردية الغربية)، أ.د سعيد يقطين، المغرب.

المواقف والمخاطبات، محمد بن عبد الجبار النفري، تحقيق: آرثر أربري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

النص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

النقد البنيوي والنص السردي (نماذج مختارة من النقد العربي)، محمد السويرتي، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد الإسكندري، ومصطفى عناني، مطبعة المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٢٥م.

ثالثًا: المعاجم

لسان العرب، ابن منظور، دار النوادر للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان – بيروت، ١٩٨٦م.

رابعًا: المواقع الإلكترونية

ستار تايمز: https://www.startimes.com/?t=24308352

الحوار المتمدن: http://www.arabicnadwah.com/articles/fantasia-hamadaoui.htm.